الرؤية الفلسفية والتأصيل الجمالي للفن الإسلامي في فكر محمد إقبال

The philosophical vision and aesthetic foundations of Islamic art in the thought of Muhammad Iqbal

أ.د درقام نادية[1]

dergam.nadia@univ-oran2.dz
https://orcid.org/0009-0009-0741-0604

تاريخ الاستلام: ../../2024 تاريخ القبول: ../../2024 تاريخ النشر: ../../2024

ملخص المقال :

من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية واستنهاض الإنسان المسلم، قدم المفكر الإسلامي محمد إقبال مشروعه التجديدي الذي يستهدف من خلاله إلى تقوية الذات التي هي محور اهتمامه، لذلك تبنى رؤية فلسفية متكاملة أحد لبناتها الأساسية التأصيل الجمالي للفن الإسلامي، انطلاقا من أن الفن يعتبر أحد أهم العناصر التي تقوى به الذات، وهذا لن يكون إلا في حالة توافقية بين الدين والفن أساسها التشريع الإسلامي،فما هي طبيعة هذه الرؤية الفلسفية التي تبناها إقبال في مقاربته لإشكالية الفن والجمال؟ ما علاقة الفن بفلسفة الذات؟، نسعى إلى التعرف على مشروع إقبال التجديدي وكيف دافع على الهوية الاسلامية من خلال الوقوف على رؤيته الفلسفية والجمالية للفن وهذا من أجل التعرف على الإمكان الفكري والجمالي للثقافة الاسلامية على المستوى التشريعي والأخلاقي، وورد ذلك مفصلا في عدة نقاط لها علاقة بنزعة إقبال التجديدية وفلسفته للذات،وعلاقة الفن والدين بتقوية الذات، لنتوصل إلى واقعية مشروعه الفلسفي والفني.

كلمات مفتاحية:الفن ، التجديد، فلسفة، الذات، الإسلام،إقبال.

In order to preserve Islamic identity and revitalize the Muslim human being, the Islamic thinker Muhammad Iqbal presented his reformist project, through which he aimed to strengthen the self, which was the focus of his attention. Therefore, he adopted a comprehensive philosophical vision, one of whose fundamental building blocks was the aesthetic foundation of Islamic art. This vision stems from the premise that art is one of the most important elements that strengthens the self, and this can only be achieved through a state of harmony between religion and art, based on Islamic law. What is the nature of this philosophical vision that Iqbal adopted in his approach to the problem of art and beauty? What is the relationship between art and the philosophy of the self? We seek to understand Iqbal's reformist project and how he defended Islamic identity by examining his philosophical and aesthetic vision of art. This is done in order to understand the intellectual and aesthetic potential of Islamic culture at the legislative and moral levels. This is detailed in several points related to Iqbal's reformist tendency, his philosophy of the self, and the relationship between art and religion in strengthening the self, to arrive at the reality of his philosophical and artistic project.

Keywords: art, renewal, philosophy, self, Islam, Iqbal.

مقدمة:

(1) قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2

إن هيمنة العقل الغربي على التفكير الفلسفي خاصة في العصر الحديث والمعاصر، أدت إلى انتشار الفلسفة الغربية وسيطرتها على المعاش الغربي وكذا تأثيرها على النخبة العربية الاسلامية ، فاصبح الشباب المسلم مقلدا للثقافة الغربية منبهرا بها مما أدخل الأمة الاسلامية في تبعية للغرب فصعب مهمة نهوض الأمة من جديد، في ظل هذا الواقع المتأزم كان لابد من مشاريع نهضوية تبناها الكثير من الاصلاحيين بغية إعادة الأمل لأمة قادت البشرية للقرون، من هذا المنطلق قدم المفكر المسلم محمد إقبال مشروعه التجديدي الذي أسقط من خلاله الكثير من الطروحات الغربية لا سيما تلك التي لها علاقة بفلسفة الفن.فماهي الأسس الفلسفية والدينية التي أصل من خلالها إقبال للفن وللجمالية الإسلامية؟ ماهي علاقة الفن والدين بفلسفة الذات عنده، هل استطاع إقبال أن يتجاوز فلسفة الفن الغربية؟

إن النزعة التجديدية التي اتسم بها مشروع إقبال الفكري أدت إلى نقد الغرب في أفكارهم التي تتعارض مع الشريعة الاسلامية خاصة تلك التي لها علاقة بفلسفة الفن الجمال، مما دفع اقبال إلى تبني مشروع تجديدي غايته العناية بالذات واستنهاضها،وهنا اعتنى بكل مايرقى الذات ويقويها، فكان اهتمامه لافت بالفن الاسلامي فأصل له جماليا وفق رؤية فلسفية محورها الذات.

نسعى من خلال هذا الطرح الى التعرف على رؤية المفكر الإسلامي محمد إقبال للفن وكيف حافظ على هويته الاسلامية وما علاقته برؤيته الفلسفية للذات وكيفية استنهاض الإنسان المسلم، وفق منهج تحليلي.سنفصل ذلك ضمن المحاور الرئيسية الآتية:

- فلسفة إقبال ونزعته التجديدية
- فلسفة الذات ورؤية إقبال الفنية
- الفن وترقية الذات عند إقبال
- ثنائية الفن والدين في فكر إقبال
- الفنان ومهمته
- موقف إقبال من الفنون الجميلة
- تجربة إقبال الفنية

1.2 فلسفة إقبال ونزعته التجديدية:

يعتبر المفكر الإسلامي محمد إقبال من رواد التجديد والدعاة إلى استنهاض الأمة، لقد دعا إقبال إلى استحداث فلسفة إسلامية تفي بحق مقتضيات التطور العلمي ومتطلبات التجدد الفكري، وهذا لا يكون إلا بالنظر إلى تراث الماضي الذهبي للإسلام والمسلمين،لأن من لا ماضي له لا حاضر له ولا مستقبل.(كاظم رائد:2009،ص64)

تتعزز النزعة التجديدية في فكر إقبال إنطلاقا من وضع الأمة السيء والمتردي في عصره، وإذا كان إقبال قد أهتم إهتماما في أشعاره وكتاباته بقضية التجديد فلأنه كان يؤكد نقطة بداية في فكره الفلسفي وهي الذات الإنسانية، ففلسفة الذات عند إقبال هي محور قضية التجديد. .(كاظم رائد:2009،ص64)

ارتبطت نزعة إقبال التجديدية بحسه الحضاري ورغبته الشديدة في تطور أمته الإسلامية خاصة وانها تمتلك مقومات التطور، فكان من دوافع إقبال نحو هذه النزعة، فأنه وجد بان المجتمعات متباينة فيما بينها .وأن اطلاعه الواسع على الثقافات العالمية شرقها وغربها

ورحلاته بين بلاد الشرق والغرب، جعلته يشعر بوجود بهذا التباين ، الشرق أرض الروحانيات والغرب أرض الماديات ففي الشرق غنى روحي، ففي الغرب غنى المادي، وهذا يفترق لذاك، وذاك يفتقر لهذا، فعلى الطرفين أن يوقفا فيما بينهما من أجل الوصول إلى تحقيق معارف نظرية وطقوس عبادية إلى معرفة متطابقة مع الخبرة الدينية نفسها. وكان إقبال كثيرا على مسألة تمحيص الفكر الغربي لتحويل نتائجه إلى عامل إيجابي في تعميق الفكر الديني. ولم تكن قضية التجديد عند إقبال مقتصرة على جانب واحد فقط من دون جوانب الأخرى،بل شملت جميع ميادين الحياة. .(كاظم رائد:2009،ص64)

يدعو إقبال إلى التجديد كضرورة حياتية، فيقول: (إقبال:2005، ص444)

"إن الدنيا الجديدة، تظهر بالفكر الجديد،

"فالدنيا لا تبنى من الحجر والطوب.

إن عزيمة وهمة الغارقين بالذات، أوجد من هذه القناة، بحرا بلانهاية.

هو الذي يغلب على دوران الزمان،

ذلك الذي ينشأ عمرا خالدا من كل نفس.

بسبب موت الذات في ديار الشرق،

لم يتولد شخص عارف بسر الخلق."

إن الاعتناء بالذات التي يعتبرها إقبال محور ومدار التغيير والاهتمام هي منطلق مشروع التجديد، إن العالم قائم بهذه الذاتية، وإن الإنسان بهذه الذاتية يقوم على قدر قوتها وضعفها، بل يخلد أو يفنى باستحكامها أو اضمحلالها، وإن مقصد الإنسان في هذه الحياة معرفة ذاته وتقويتها وتنمية مواهبها واستنباط ما في فطرتها. وليس من الخير في شيء إنكار الذات أو إضعافها، بل هو الشر كل الشر.(عزام: 2014،ص69)

لقد تميز إقبال بطرحه الخاص حول مفهوم الذات فقدم فلسفته ذات الأسس الاسلامية التي تؤكد على استنهاض الانسان المسلم الذي يشجعه على الإبداع وعدم تقليد الغرب وهدا لن يكون إلا بالثقة المطلقة بالقدرات الكامنة في الذات ، وتفتيق هذه القدرات هو المعنى الحقيقي للحياة.تلك الحياة التي لا تعرف الجبن والخوف و اليأس، ولكي يحي الانسان المسلم حياة طيبة فعليه بأخذ زمام المبادرة وهذا لن يكون إلا بتقدير الذات ورفض أي نمط من التبعية والانبهار بالآخر.

طرح إقبال رؤية فلسفية متكاملة لبناء الانسان المسلم المستقل الذي يتشبث بالقرآن الكريم ويقتدي بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا لن يكون إلا بالتصدي للأفكار الدخلية والغريبة على الدين الاسلام وتلك الفلسفات التي تستهدفه. فالاسلام يملك مشروع متكامل يعزز بناء الذات الانسانية ويحميها من الفلسفات المادية التي تسعى إلى تدمير الانسان باستعباده وتشيئه.وقد بين إقبال من خلال كتاباته رفضه الانسلاخ من الاسلام وتبني الثقافة الغربية التي تعتبر بالنسبة له إفساد لسجية المسلم لأنها تفتقد لأي جمالية، فيقول في احدى قصائده: (الغوري:2003، ص63)

"أرى تثقيف إفرنج فساد القلب والنظر

فروح حضارة لهم خلت من عفة الوطر

إذا ما الروح جانبها جمال الصفو والطهر

فأين جمال وجدان ولطف الذوق والفكر"

3 فلسفة الذات ورؤية إقبال الفنية:

إن تبني إقبال لفلسفة الذات التي كانت تستهدف تحرير الانسان المعاصر لاسيما المسلم من مختلف القيود التي تستعبده لاسيما الفكرية والثقافية، وقد أسس لرؤيته الفنية ذات العلاقة الوطيدة بفلسفته للذات انطلاقا من رفضه للرؤية الفنية الغربية التي تفصل الفن عن الحياة وترفض أن يكون للفن مقاصد خارجة عنه أي هو المقصود وهذا ماعرف في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي،في الغرب بتيار يدعو إلى اسقاط أي غاية من الممارسة الفنية، وقال دعاتها إنما يُعالج الفن للفن.وكان من دعاتها في فرنسا فلوبير وبدلير، وفي روسيا بسكن، وفي إنجلترا أسكاروايلد وولتر بيتر.وكانت هذه الدعوة في الحقيقة تطورالمذهب الطبيعيين. ومعنى هذه الدعوة أن الفن يُقصد لجماله. وأما الحق والخير وما يتصل بهما.فليس لها صلة بالفن، أو هي تابعة وليست المقصد الأصلي ... ليس للفن غاية إلا نفسه،لا يقصد إلا إياه.ليس للفن رسالة إلا أن يُ ثير في النفس الإعجاب بالجمال، وإن قصد أمرا آخرٌ كالأخلاق والتعليم والمال والصيت، وضع هذا القصد من قيمة الفن. الفن مقصد لاً وسيلة. ومن قصد في الفن إلى غير الجمال فليس بفنان. والشيء إذا صار نافعا لم يبق جميلا.(عزام:2014، ص143)

رغم أن دعاة الفن للفن يقدمون حجج وبراهين دامغة لموقفهم ، فهم يؤكدون أن الفنان يكون أكثر إبداعا عندما يتحرر من أي قيد ، لاسيما القيود الأخلاقية والاجتماعية، وهكذا اقترن الابداع الفني بالتحرر، لكن هذا التيار تناسى أن الفن يصدر عن الإنسان والانسان لا يتجزأ فكل أبعاده ونشطاته تتقوم بالتكامل، وهذا ما يبرر قول أُسكار وايلد":أول شرط للابتكار أن يُدرك النُّقاد أن عالم الفن وعالم الأخلاق متباينان كل التباين. وكانت هذه الدعوة، من الجهة الاجتماعية، دعوة إلى الفردية المطلقة أنشأت فنونًا مدمرة كل الفضائل التي عرفتها العصور الماضية"..(عزام:2014، ص143)

شملت حركة النقد التي قام بها إقبال اتجاه ما انتجه الغرب فكريا وثقافيا انتاجه الفني ونظرياته المختلفة ليؤصل لرؤية فنية خاصة به مرجعيتها إسلامية، رفض من خلالها العبث الذي دخل فيه دعاة الفن للفن باسم الحرية والإبداع، فحسبه لا يقوم الفن بنفسه، بل مقصود الفن الحياة.

4 الفن وترقية الذات عند إقبال:

يتقوم مشروع إقبال في بناء الإنسان على عدم إهمال أي جانب من جوانب الحياة، لذلك من الضروري الاهتمام بنشاطه الفني لأنه يساهم بشكل واضح في ترقية الذات وسموها، فالفن لم ينفك- عند إقبال- عن فلسفة الذات، بل أنه مرتبط أوثق الارتباط بها، وقد كان لهذه الفلسفة أثرها العميق في تصور الفيلسوف للفن والجمال. فقد رأى أن ذاتنا معيار القيم الإنسانية بوجه عام، معيار الحسن والقبح بوجه خاص، فالجميل عنده ما تدركه الذات في سموها وإعلائها، والقبيح ماتدركه في هبوطها وانحطاطها،إذ يقول: (إقبال، 2013،ص16)

عالم الذات به علو وســـــــفل واعتراك القبح فيه والجمال

في اعتلاء الذات ما يبدو جميلا وقبيح ما بدا في الاستفال

ما يمكن أن نلمسه في هذا الطرح الذي عبر عنه إقبال في كتاباته ودواوينه، فلذات القدرة على التمييز بين ما يرقها وما يسفلها ، فكل جميل هو ترقية لها وكل قبيح هو انحطاط وتردي لها، لذلك هو يشجع على الفن الذي يرقي لا غير، ويرى إقبال أن يكون مقويا للذات، وما يقوي الذات فهو خير وما يضعفها فهو شر.وينادي بأن على الفن أن يكون معبرا عن حالات الإنسان والشرط الأساسي للفن أن يكون ملتزما بالشريعة والدين.(كاظم،2009، ص60)

يؤدي الفن مهمة وجودية تحفظ الذات من خلاله نشاطها وحيويتها، لأن الفن يوقظ رغبتنا وقوتنا النائمة ويثير أعصابنا لمواجهة تجارب الحياة ببسالة.وأن يكون باعثا القوة في الذات والحرارة والعشق والنزوع إلى الترقي وتخليصها من قيود الخوف والتردد. ويشترط في رسالة الفن أن يكون رسالة شريفة ترفع من روح الإنسان وتقوي ذاته. وهذا هو الفن الحلال أما الفن الذي يضعف الذات ويميت القلب فهو الفن الحرام ،وهذا الكلام يصدق على كل الفنون (الشعر والموسيقى والغناء)وغيرها.(كاظم،2009،ص60) وهذا يعني أن الفن لا يحرم لذاته بل حسب إنعكاسه على الذات.

وإذا كان اقبال يدعو إلى تقوية الذات، لأن القوة تضفي على الذات جمالية تسهل لها إمكانية الانضمام إلى الجماعة وإظهار فاعليتها، والذات المفردة القوية الناضجة تنسلك في الجماعة، ولا تفنى فيها،وقد بين إقبال في ديوانه أسرار خودي كيف يلتئم الواحد القوي في جماعته، وكيف يسد بهذا الإ لتئام ويبقى ولا يفنى ومن اشاراته في هذا:

يا من في القافلة سر رفيقا وكن وحيدا.

ويقول في الضرب كليم في القطعة التي عنوانها{الرجل العظيم}(إقبال،2013، ص16)

هو في المجمع خال

بل القوة عند إقبال من عناصر الجمال، فإن الجمال لايكون إلا بالجلال.

إذ يقول في القطعة التي عنوانه{الجلال والجمال}(إقبال،2013، ص15- 16)

عندي جمال في بهاء أن ترى في سجدة للقوة الأفلاك

ولنغمة من دون نار نفخة ماالحسن إلا بالجلال يحاك

بل يقول في هذه القطعةإنه لايحب أن يعذب بنار غير قوية

لاأرتضي نار الجزاء لم تكن وهاجة ولهيبها دراك.

ولم ينتصر إقبال للفن لولا الدور الفعال الذي يقوم به في ترقية الذات وتقويتها، فقد اقترن الفن بالقوة والفعالية الجمالية لحياة الذات في بعدها الفردي وفي تعزيز ذاتية الذات وفي بعدها الجماعي دون إناءها وإلغاء دورها، لذلك الخلود للإنسان وللفن بالقوة والحرية والتأثير في الحياة، التأثير القوي الحسن، الذي يقوي الحياة الضعيفة ويزيد الحياة القوية قوة.(عزام، 2014،ص146)

أتت تحت الشمس تمضي كشرار لست تدري ما مقامات الوجود

ليس في فنك للذات بنـــاء ويح تصويـر وشعـر ونشيـد.

يحدد إقبال مهمة الفن التي يتبين من خلالها قيمة الفن في حياة الإنسان ، فهذه القيمة تقدرها على حسب ديمومة تأثير الفن، لذلك فالفن الذي لا يطبع على الحياة نفسه، ولا يخلد على الدهر آثاره ليس جديرا باسمه.(إقبال،2023،ص18)

"مقصد الفـن في الحياة لهيـب أبـدي، فمـا وميـض الشـرار؟

قطر نيسـان، ما اللآلئ إن لـم تتلاطـم بهـا قلوب البحـار ؟

ما نسيم إلا الإعجاز يحيي، ففن ليس ضرب الكليم فيه، عواري".

وهكذا تقترن القيم السامية وتتفاعل فيما بينها، فلا فن بغير قوة ولا جمال بغير جلال، وبهذا تتقوى الذات وتؤدي وظيفتها الوجودية وهنا نستحضر قول إقبال:(إقبال،2013،ص15-16)

"وأرى الجمال جميعه في أن ترى في سجدة للقوة الأفـلاك

ولنغمة من دون نار نفخـة ما الحسن إلا بالجلال يحـاك"

يحدد محمد إقبال الغاية من الفن التي تتحدد في جعل الإنسان يتخلق بأخلاق الله مما يعني سمو الانسان وأداء وظيفته التعبدية في أجلى صورة ، وهذه المهمة للفن لا نجدها مورست عند المسلمين حسب إقبال، فهو يقول:إذا نظرنا في تاريخ الثقافة الإسلامية فرأيي أن الفن الاسلامي قيما عدا العمارة"الموسيقى و التصوير بل الشعر"لما يولد، أعني الفن الذي يقصد إلى أن يتخلق الإنسان بأخلاق الله، والذي يعد الإنسان بإلهام لا ينقطع"أجرغير ممنون"، ثم يحقق له خلافة الله في الأرض،(عزام: 2014،ص145)

5ثنائية الفن والدين في فكر إقبال:

لم تكن مهمة إقبال سهلة وهو بصدد التأسيس لفلسفة فن إسلامية ، وذلك لأن السبق كان للغرب في طرح فلسفات هيمنت على المشهد الفكري والثقافي في العصر الذي عاش فيه إقبال، كما أن الصعوبة تكمن في إقصاء الدين من طرف العقل الغربي ، حيث أصبح يطرح نظريات يقصي منها الدين لاسيما تلك التي لها علاقة بالفن ، في حين نجد إقبال يرى العكس، إذ يصرح في احدى قصائده: (إقبال:2013،ص89)

'الديـن والفـــن والتدبيـر والخطـب والشعـــــر والنثـــر والتحـريـــر

كل يحيط بمكنـون يظـــن بـــــه في صدره يتوارى جوهر عجـــــــب

إن تحفظ "الذات" هذي فالحياة بهـــا أو قصرت فهي عندي السحر والكذب

كم أمة تحت هذي الشمس قد خزيت إذ جانب الذات فيها الديـن والأدب"

يقوم اقبال برفع اللبس الحاصل بسبب تراكمات فكرية وسلوكية أدت إلى الفصل بين ما هو ديني وفني سواء في الثقافة الاسلامية حيث أذت فتاوي تحريم الكثير من الفنون إلى التنافر بين الدين والفن مما شكل في اللاوعي الجمعي الاحجام والابتعاد عن الفن بسبب الدين، في حين لا ينفك الفن عن الدين عند إقبال، فقد رفض قول الذين يقولون بأن(الفن للفن) ومعنى هذا القول أن الفن يقصد لجماله لا لشيء آخر اما الحق والخير وما يتصل بهما فليس له صلة بالفن وليس للفن غاية إلا نفسه. ويلتقي الفن

بالدين ويسمو بالإنسانية نحو القمة المرموقة والأفاق الرحيبة التي تموج بما يسعد الحياة ويجعلها جديرة بالاحترام والحب.وهذا هو مذهب إقبال في الفن، حيث يؤصل للفلسفة فن جديدة يدحض بها إدعاءات الغرب ويرفض بها سلوكات المسلم المنغلق ويدعوه إلى التجديد مما يجعل الذات تستفيد من الفن والدين في سموها وفاعليتها المتجددة في الحياة، وما التجديد إلا تعبير عن ديمومة جمالية الحياة.

نجد المفكر المجدد إقبال لم يتوانى عن توضيح رؤيته الفنية من خلال ربط الفن بالدين في علاقة تفاعلية تنعكس الذات الذات في تأدية وظيفتها الحياتية، وهذه الأبيات عينة من شعره الذي يعزز به موقف الجمالي من استفادة الذات من كل المجالات بتفعيل كل النشاطات الحياتية، فيقول: (إقبال:2005، ص444)

النغمة، والشعر، والسياسة، والكتاب، والدين، والفن،

إنها كلها مثل حبة الجوهرة في جيبها (في الدين والفن)

إن ظهورهما (الدين والفن) في قلب العبد الترابي،

وعُشهما أرفع من النجوم.

لو يحفظا(أي الدين والفن) الذات (فيكون هذا) أصل الحياة،

ولو لم يستطيعا (الحفاظ على الذات) فوجودهما (مثل)

السحر والقصة.

إن الأمم فضحت تحت السماء،

حينما نفر الدين والفن من الذات.

6الفنان ومهمته:

إذا كان للفن وظيفة يقوم بها في حياة الانسان، فان الانسان في حد ذاته هو الذي ينتج هذا الفن فيكون بذلك فنانا، انطلاقا من هذا حرص إقبال على تحديد مهمة الفنان بدقة حيث يتسنى للفن أداء دوره فهو يصرح قائلا(عزام،2014، ص146):"أرى الفن خادما للحياة والشخصية، أبنت عن هذا الرأي سنة1914 في ديواني"أسرار خودي" و أوضحته مرة أخرى بعد اثنتي عشرة سنة في القصيدة الأخيرة من ديوان" زبور العجم"، حيث حاولت تصوير روح الفنان الأمثل الذي يتجلى العشق فيه توحيدا بين الجمال والقوة."

حسب إقبال أن فساد نفس الفنان ستنعكس في انتاجه الفني الذي سيشيع الفساد بين الناس، فالفنون تقوم بقوة النفس التي أنشأها، وقوة إيحائها وقوة تأثيرها في الطبيعة والإنسان. كل فن أنشأته نفس ضعيفة، فكان له في الناس أثر ضعيف، أنشأته نفس مفسدة شريرة،فكان له في الناس إفساد، فهو فن لا قيمة له، فهو فن لا قيمة له، بل هو فن خاسر، يضر ولا ينفع.

يشدد إقبال على خطورة الفن الناتج عن إي سفيه، فهو شر على الأمة وخطر محدق به، إذ يقول إقبال في مقدمة ديوان غالب: لعل إيحاء واحد من نفس مسفهة، تستطيع إغواء الناس بغنائهاأو تصويرها، شر على الأمة من جيش لآتيله أو جنكيز.

كما قال نبي الإسلام في امرئ القيس أعظم شعراء الجاهلية:"أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار."

وهو ينعي نفسه على الهند بعد فنهم عن الحياة،واقترانه بالخنوع وتصويره الموت، وقتله الروح. يقول في ضرب الكليم:(إقبال،2013،ص93)

"تخيلهم جنازة كل عشق وظلمة فكرهم للحي قبر

وموثنهم بـه نقـش المنـايا وليس لفنهم بالعيـش خبــر
ينيم الروح في إيقاظ جسـم ودون المجد يسدل منـه ستــر
يسخر للأنوثة كـل شـيء لهم قصص و تصوير وشعــر"

والفن الصادق صورة من نفس الفنان، بل هو مصور بدمه وعصبه:(عزام،2014،ص148)

وليس للمقلد فن، إنه يبني أصنامه من حطام أصنام قديمة.

تعس الكافر من أصنامـه من حطام لمنـــاة واللات
هـالك صـلى عليه فنـه في ظـلام اللحـد يرنـو للحيـاة

وهو يرفض التقليد مطلقا خاصة للفنان، ويرى إقبال أن الفنان ينبغي ألا يحاكي الطبيعة، بل ينبغي أن يطبع نفسه عليها، ويصور شعوره فيها. ويقول إن الإنسان خلاق لا مقلد، وصائد لا صيد، وإن أهرام مصر أعظم من الصحراء المحيطة به.(عزام،2014،ص148)

شادت الفطرة كثبانا لـهـــا في سكون من يبـاب يتـقـد
روَعٌ الأفلاك فيه هـــــــرم أي كفَ صورت هذا الأبـــد؟
من أسار الكون حرَر صنعة صائد ذو الفن أم صيدا يعـــد

يتحمل الفنان مسؤولية كبيرة اتجاه نفسه، حيث يعمل على تهذيبها وفق أخلاق راقية، وفي ديوان زبور عجم منظومة طويلة بين فيها إقبال أثر الحرية والعبودية في الفنون، ووصل الفن بقلب الإنسان وروحه، بل وصله بالله تعالى، إذ جعل الفنان الحق هو الذي يسمو بنفسه محاولا أن يتصف بصفات الله.(عزام: 2014،ص145)

7موقف إقبال من الفنون الجميلة:

يحدد إقبال موقفه من مختلف الفنون حيث يذهب فيهم مذهبا يلائم فلسفته ورؤيته الجمالية. وكتب إقبال في الفنون الجميلة رسالة بعنوان {بندكي نامة} أي رسالة العبودية وشملت فنونا عديدة كالموسيقى و التصوير والعمارة وفن صناعة الأحرار وكانت نظرة إقبال للكون ومابه من جمال وكمال وجمال نظرة فنان لقد تعمق في أسرار هذا الكون فوجد أن كل شيء لايستقيم إلا إذا بني بالحب وهذا مادعا جورج برناردشو{1756\1950} إلى تسمية إقبال بالفنان الفيلسوف.(كاظم،2009،ص61)

.1.7السينما:

يقف اقبال موقف الناقد للفن السينما، ويرى أنها تؤدي دورا سلبيا في العصر المعاصر، وهو بهذا يحذر منها لأنها خطر على عقيدة التوحيد، فهو يقول: (إقبال، 2003،ص205- 206)

"أهذه سينما أم حرفة آذر؟
إنها تحت الأصنام وبيع الأوثان.
لم تكن صناعة بل كانت عادة الكفر،
وهذه لبست حرفة بل مسلك السحر.
كانت هي الدين لشعوب العهد القديم،
وهي تجارة العصر الحاضر.
هي طين الدنيا وهي حمأ جهنم، هي تراب وهي الرماد."

.2.7الأدب:

لقد تعاطى إقبال مع الأدب كفن راقي بجب أن يستخدم لخدمة القضايا السامية، فللدكتور محمد إقبال آراء حصيفة في العلوم والآداب والشعر، هي عصارة تفكيره وتجاربه. منها، أن الأدب موهبة كبيرة من مواهب الله، وقوة عظيمة، يُحدث به صاحبه انقلابا في المجتمع، وثورة فكرية، يضرب به الأوضاع الفاسدة الضربة القاضية، ويشغل القلوب حماسة وغضبا، ويشعل البلاد نارا وثورة، ويملأ النفوس قلقا واضطرابا، وتذمرا من الشر، وتطلعا إلى الخير، فلابد أن يكون في قلم الأديب والشاعر التأثير الذي كان عصا موسى، وأن يؤدي رسالته في العالم.(الندوي:1960، ص46)

لقد وضح إقبال موقفه اتجاه كل الفنون المنتشرة في عصر، فكان معيار قبولها أو رفضها واحد، فكل فن يضعف الذات ويدمرها مرفوض، والعكس تمام كل ما يقوي الذات من الفنون يقبل ويشجع عليه.

8.تجربة إقبال الفنية:

لم يكتفي إقبال بالتنظير لمشروع التجديد فحسب بل تبناه إجرائيا، فكان فيلسوفا مجددا، وقد استعان بفن الشعر لطرح أفكاره التجديدية، فكان فنانا مجددا، فقد خاض تجربة فنية التزم فيها مباديء وأسس فلسفته، واستطاع إقبال بما أوتي من ثقافة واسعة وموهبة في الشعر، أن يصب هذه الثقافة في قالبه الشعري ليخرج لنا أدبا فلسفيا خالدا، وهو واحد من أبرز الذين أدبوا الفلسفة وفلسفوا الأدب.أمثال الكثير من الفلاسفة والأدباء في تاريخ الفكر والشعر.(كاظم، 2009ص65)

تتميز تجربة إقبال الفنية بطرح مشروع فلسفي عميق في حلة شعرية ذات طابع جمالي، واستطاع إقبال أن يزاوج بين الشعر والفلسفة بين المنطق والعاطفة، فكان شاعرا فيلسوفا وفيلسوفا شاعرا.والشعر عند إقبال ليس مجرد كلمات تنظم بأوزان شعرية، وإنما هو رسالة شريفة يريد أن يوصلها إلى الإنسانية أجمع ولهذا يقول:(إقبال، 2013،ص95)

"الشعر فيه من الحياة رسالة أبدية لا تقبل التبـــديلا

أن كان من جبريل فيه نغمة أو كان فيه نفخ إسرافيلا "

التزم إقبال بمهمة الشاعر الإصلاحية التي تحترم ذات المتلقى وتستهدف ترقيته، فكان شاعرا ملتزما الرافض للعبثية التي يتبناها دعاة الفن للفن التي هيمنت على الثقافة الغربية، فكان أشهر مفكري الاسلام في العصر المعاصر الذين قاموا بتأصيل جمالية الفن الاسلامي وفق رؤية فلسفية متكاملة تراعي الشريعة الاسلامية،وقد استطاع من خلال الشعر بناء فلسفة بجميع مباحثها يقول عنه عبد الوهاب عزام (ولا يروض الفلسفة للشعر، ويطوع الشعر للفلسفة إلا إقبال وأمثاله –وقليل ما هم) وإقبال معروف لدى أكثر الباحثين والدراسين بأنه من أبرز الدعاة إلى الأدب الإسلامي الملتزم. ومهمة الشعر عنده أن يكشف عن حقيقة الإنسان وأن يكون أداة يغير هذا الإنسان والاعتلاء به إلى أسمى مدراج الكمال الإنساني.(كاظم،2009،ص66)

تعتبر تجربة إقبال الفنية التي تميزت بطابعها الجمالي ذات العمق الفلسفي، التي جعلت من إقبال أحد أبرز المجددين المسلمين في العصر المعاصر وقد انعكس ذلك في بلده، حيث يعتبر المسؤول عن التغيير في باكستان، بسبب تبنيه مشروع استنهاضي وسيلته الشعر.وهكذا كان الشعر عند إقبال موقظا للنفس الإنسانية من كل خمول وتكاسل معبرا عن واقع الإنسان، آخذا بيده نحو بلوغ الكمال والسلام والعيش الهنيء، وكانت هذه الصفات تصدق على شعره فقد كان هدفه الأول والأخير بناء الإنسان وتغيير واقعه نحو الأفضل.(كاظم، 2009،ص66)

9.خاتمة:

قدم المفكر الإسلامي محمد إقبال مشروع متكامل اتسم بنزعته التجديدية ، يدعو من خلاله الى الاعتناء بالذات والعمل على تقويتها وهو بهذا يستنهض الإنسان المسلم، فكان إقبال فيلسوف التجديد بإسقاط كل الفلسفات التي تحول دون تطور الأمة الإسلامية خاصة الغربية التي قامت على أفكار تتعارض مع روح الشريعة الإسلامية خاصة الطرح الغربي للفن الذي ينتهي إلى العبثية رغم أنه يحمل شعار الحرية ، بحيث يمارس دون الالتزام بأي قواعد اخلاقية أو اجتماعية مابلك بالضوابط الشرعية التي تلزم المسلم بدينه،ولذلك إنطلق إقبال من الشريعة الاسلامية في رؤيته للفن فميز الضروري منه لبناء الانسان وتقوية الذات وأبعد كل مايضعفها من الممارسات الفنية، ووثق العلاقة بين الفن والدين خدمة لحياة طيبة يحياها المسلم يكون فيها قويا مبدعا، واستطاع اقبال تبني رؤية فلسفية للفن ذات تأصيل جمالي إسلامي.

المصادر والمراجع:

أبو الحسن علي الحسني الندوي، روائع إقبال، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1960،ط1

إقبال محمد، الأعمال الكاملة،تحقيق: حازم محفوظ، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر،2005، ط1

إقبال محمد، جناح جبريل، تر:جلال السعيد الحفناوي،المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003

إقبال محمد، ضرب كليم،تر: عبد الوهاب عزام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة، مصر، 2013، دون ط

عزام عبد الوهاب، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة،مصر، 2014، دون ط

الغوري سيد عبد الماجد، ديوان محمد إقبال، ج1، دار ابن كثير دمشق- بيروت،2003، ط1

كاظم رائد جبار ،فلسفة الذات في فكر محمد إقبال، دار نينوى، دمشق، سوريا،2009، دون ط.